لاكثر ملوك الارض لانه ما وجد وزير زار الملوك وزارته مثل دلكاسه فانه قد صادق ملك انكلترا وقيصر روسيا وملوك ايطاليا واسبانيا وسواهما حتى ان سمو خديوينا العباس معدود من جملة اصدقائه

اما منظر دلكاسه فلا يملأ العين بشيء ولكنه يمتاز بالوقار وقلة الكلام وعدم القاء الخطب الا حين الضرورة القصوى كما انه ينقض الامور ويبرمها بسرعة وبساطة ويقال ان اكثر الذي اهله لهذا المنصب الخطير من جهة اخلاقه هو كونه فلاحا ابن فلاح يخط ما تمليه عليه البساطة بعد ان يتلقاه بالتمييز والنقد . ولعله لا يمر على اوربا مئة سنة حتى يصير كل ملوكها واكابر حكامها من رجال القرى واهل الحرف لان فرط اليسار وعظم المجد قد اضعفا عقول الاكابر المتسلسلين وصار العقل كل العقل عند الفلاحين الذين احتفظوا بصحتهم فاحتفظت بمداركهم وصاروا من العصاميين

﴿ رسم الارضين والمدن ﴾

توشك الدولة الانكليزية ان تكون ممتازة عن سائر الدول بكثر اهتمامها وبذلها في سبيل تخطيط الارضين والمدن والجزر والبحار وما لها من شواطئ وما فيها من صخور وذلك لكثرة ما تحدث في بلادها ومستعمراتها الواسعة من التغيرات الارضية والبحرية وكثرة ما لا يزال مجهولا في الارض فهي بذلك تخدم نفسها وسائر العالم خدمة جلى كما ان هذا لا يعد

خسارة تامة عليها لانها تبيع من خرائطها تلك مبلغاً ليس بقليل للالوف من سفائنها وسفائن سواها للاستعانة بها على السير

اما رسمها للخرائط فهو يجري بلا انقطاع منذ مئة وعشرين سنة وسيجري ما دامت انكلترا حية نامية والا تكفل غيرها بهذه المهمة التي لا يدري مقدار نفعها الا من يعانون صناعة الملاحة ويدرون مقادير اخطارها

اما تلك الرسوم فتتناول جميع البحار السائلة والمتجمدة بجميع شواطئها وجزرها ثم الصحارى الاستوائية التي تتغير فيها الواحات بفعل نسف الرياح للرمال والاراضي المجهولة وكلها ترسم بالدقة التامة حتى يخال الناظر اليها كانه فيها وهي اعمال قد انفق عليها ملايين من الجنيهات ولا بد من انفاق مثلها على الدوام ولقد بلغ ما انفقته تلك الدولة من عشر سنوات للان في هذا السبيل مليونين و٥٠٠ الف جنيه فكانها تنفق في السنة مئتين وخمسين الف جنيه اما الجيش المعين لهذة الخدمة فعدده ٣٥٠ من المهندسين و٢٢٦٠ من العمال

ولقد كان في جملة ما ذكر من تلك الخرائط خريطة رسمت بها البلاد الانكليزية بكل ما فيها من المدن وقد بلغ ما رسم فيها من الشوارع ١٠٨ الاف شارع صوِّر فيها كل شيء من الدقيق الى الجليل كالمنازل والاسوار والابواب والغابات حتى الاشجار المنفردة في البقاع المقفرة فانها تصور حتى لا يجهل في البلاد شيء ذلك عدا الجبال والهضاب والاودية ومحطات السكك الحديدية والمنائر وسائر ما يهم ظهوره والعلم به كما ان كل هذا يتجدد على الدوام بما يحصل من توسيع شارع او هدم بنيان وتغيير محطة ومجرى نهر ونحو هذا مما جعل ديوان الرسم ذا حركة دائمة لا انقطاع لها

هذا من جهة البر اما البحر فسفائن التخطيط منتشرة في كل بحر وشاطىء وهي بين سايرة للاعماق ومكتشفة للصخور ومبينة للشواطىء بحيث ان خريطة البحر تبدو كخريطة المدينة هذه فيها كل شارع ومنزل وتلك كل صخر وعمق وقد بلغ ما ذكر في آخر خريطة صدرت الفي ميل من الشواطىء الجديدة و١٣ الف ميل مربع من البحر وبلغ ما اكتشف من الصخور ذات الخطر على السفن ٤٠٠ صخر وهي تعطى للاساطيل مجانا ويباع منها ١٥٠ الف خريطة في السنة لارباب السفن

ثم ان هذه المهمة لا تقتصر على ما يرد الضرر عن السفن بل تتناول العلم وكماله مثل درس اعماق البحار ومافيها من وهاد ونجاد ومختلف حرارة ونحو ذلك مما يهم اولي العلم والتحقيق وقد يكون ذا نفع الملاحة من بعض الوجوه ويقال انه لا يزال للان اكثر من ثلاثة ملايين ميل مربع في نواحي اوستراليا وزيلاندا الجديدة وهي مجهولة الاحوال ولا بد من تخطيطها ورسم كل ما فيها ومثل ذلك بعض اصقاع كندا وجنوبي افريقيا وبلاد الرأس وما يجاورها مما لا يزال مجهولا او غير مضبوط الرسم كما دلت على ذلك حرب الترانسفال فان كل ما كان بين ايدي الانكليز من رسوم تلك النواحي لم يكن مضبوطا ولهذا كانت الجيوش تنهزم بسبب الجهل اكثر من سواه

ثم ان هذه الاعمال على ما تقتضي من الجهد والبذل ذات خطر عظيم احياناً فقد اتفق مرة انهم ارادوا رسم خريطة للحدود التي ما بين بلاد الفرس وافغانستان وكان ذلك في بلاد قاحلة لا ماء فيها فمات من رجال البعثة خمسون نفسا كما مات في سواها كثيرون من شدة البرد وفتك

الضواري والعطش عدا ما مات من الجمال والخيل والكلاب مما ذهب فدية في سبيل التحقيق ونفع سائر الاحياء

اما رسم الارض وبحارها فليس بالامر الجديد لانهم وجدوا خرائط لها من عهد المصريين القدماء الذين كانوا قبل المسيح باكثر من الف سنة ولكنها كانت متناولة بعض الاصقاع التي يهمهم امرها اما رسم خريطة عامة للارض على موجب ما كان معروفا في القديم فقد كان في عهد اناكسيماندر قبل المسيح بنحو ستمئة سنة . الا ان هذا الفن قد تقدم جداً في هذا العهد حتى توصلوا الى رسم المريخ وما عليه من بحار وقارات ولكن رسم الارض بجملتها لا يزال ناقصاً ولاسيما ما كان منها في الاصقاع المتجمدة ولذلك تذهب البعثات اليها على الدوام ليس من اجل اكتشاف القطبين فقط بل من اجل رسم ما لم يرقبلا ولسبر الاعماق والاشارة الى مواضع الصخور وغير ذلك شيء كثير يدل على ما وصل اليه الانسان من الرغبة في جد التحقيق بعد ان كان من دهر قصير لا يدري من دنياه شيئا يذكر